مقاييس اللغة

« لابن فارس »

—*—

أول من فكر في وضع معجم لغوي على ترتيب يسهل معه تناول كلمات اللغة هو الامام الخليل بن احمد في كتابه الذي سماه (العين) . لكن وُجد في نسخ هذا الكتاب تخليط وخلل حمل الناس على الشك في نسبته اليه . حتى قام ابن دريد فوضع كتابه (الجمهرة) . فمالوا اليها . وعوّلوا في الاستفادة عليها . ووُجد في علماء اللغة من ينافس ابن دريد في عمله . وينال منه ومن كتابه . فكانت هذه المنافسة بينهم مغرية لهم على وضع معاجم أخر اتم وأكمل من (الجمهرة) و (العين) . فألفوا (الموعب) و (العباب) و (الجامع) و(البارع) و (المُحكم) و (المُجمل) و (الصحاح) و (التهذيب) وغيرها . بحيث لم يتنه القرن الرابع حتى أرسل بعض الملوك الى الصاحب بن عباد يسأله القدوم عليه . فكتب معتذراً اليه : (أحتاج الى ستين جملاً أنقل عليها كتب اللغة التي عندي) غير ان السيوطي (حوالى الألف للهجرة) ندب هذه الكتب وتأسف على فقدها وقال : (ان الكتب الموجودة الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتاخرين لا تجيء بحمل جمل واحد) فأين ذهب حمل التسعة والخمسين جملاً ؟ ذهبت بها حروب التتار في مشرق بلاد الاسلام . وحروب الاسبانيول في غربيها . وحروب الصليبيين في وسطها . وها أنا ذا الآن أقرأ كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ فأسمعه يوبخ (بلدوين الثالث) ملك القدس على غدره باهل أسامة وأولاده الذين أعطاهم الأمان في طريقهم من مصر الى دمشق . فلما وصلوا الى عكا أمر الملك بكسر البطسة[1] بالفؤوس وفتش النساء وسلب جميع ما في البطسة ولم يُبق لركابها الخمسين نفساً سوى خمسمائة دينار وصلوا بها الى

(١) البطسة نوع من السفن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دمشق . فجعل الملك نور الدين الشهيد يهوّن الامر على أسامة . و يهنئه بسلامة أولاده ونسائه . فصبر أسامة على خسارة ثلاثين الف الدينار صبر الكرام . ثم قال : (الا ماذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة فان ذهابها حزازة في قلبي ما عشت) .

وكان علماء اللغة ينحون في تصانيفهم مناحي مختلفة مابين مطوّل ومختصر . وعام في انواع اللغة . وخاص بنوع منها .

واكثر تصانيف اللغة تداولاً في الأيدي وأقربها تناولاً من الأذهان كتب المعاجم التي تسرد مفردات اللغة مرتبة ثم تذكر إزاء كل كلمة معناها . اما التصانيف الأخرى التي توضع في فلسفة اللغة او في بيان أسرارها وغوامضها او في نوع خاص من أنواعها ومباحثها كالكتاب الذي ألفه الأصمعي في الأجناس . و كتاب النوادر لابي زيد و كتاب الغريب لابي عبيد القاسم بن سلام وغيرها — فان أمثال هذه الكتب تنحصر فائدتها بعلماء اللغة المتبحرين فيها . المتوفرين على تقصي شواردها . ومن ثم تقل نسخها في الايدي . وتنقطع من الأسواق . ولا يكاد يوجد منها الا نسخ معدودة في دور الكتب العامة او الخاصة ببيوتات العلم .

ومن طرائف الابحاث اللغوية البحث المتعلق بتاريخ اللغة منذ كانت في مهد نشأتها حتى استوت على سوقها وتشعبت فروعها . و ينطوي في ذلك شرح خصائصها التي تمتاز بها على سائر اللغات والتنويه بالعلماء الذين توفروا على خدمتها بمختلف المصنفات .

هذا الفن هو الذي أحسن المعاصرون ترتيبه وتبويبه وسموه علم تاريخ آداب اللغة . والكتب التي ألفها علماؤنا فيه قليلة جداً : أشهرها في القديم (فهرست ابن النديم) وأشهرها في الحديث (مزهر السيوطي) .

ومن طريف مباحث اللغة البحث المتعلق بانساب اللغة وتولد كلماتها من أصل واحد . فالاصل الواحد بمثابة الأم والمشتقات المختلفات المعاني بمثابة السلالة فيتألف من المجموع أسرة واحدة هي (الاسرة اللغوية) ومنها تتكون اللغة كما تتكون الامة من أسرها .

هذا البحث من أدق مباحث اللغة . ولا يجيد فيه الا القليلون من علمائها بل لا يجيد فيه الا من تمكن من علمي الصرف والاشتقاق كما يلمح مما قالوه في ترجمة (ابن جني) امام هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفن — فن السلالات اللغوية — قالوا (انه كان في التصريف إماماً لا يشق له غبار) .

وابن جني في الواقع ونفس الامر هو ابن بجدة هذا الفن . ولم يجر معه فيه الا ابن فارس أحد أئمة اللغة المشهورين وكانا في عصر واحد — عصر النهضة العربية الزاهر — عصر المتنبيء والصاحب بن عباد — فقد توفي ابن جني سنة ٣٩٣ هـ وابن فارس سنة ٣٩٥ هـ وألف ابن جني في هذا الفن كتابه (الخصائص) كما ألف ابن فارس كتابه (مقاييس اللغة) بيد أن ابن جني بحث في كتابه عن (الاسرة اللغوية) من جهة تولد ألفاظها وتشعب تراكيبها تصريفاً واشتقاقاً . إعراباً وبناءً .

أما ابن فارس في مقاييسه فقد جعل معاني الكلمات أساساً للبحث في تشعبها وتناسلها وتولد بعضها من بعض .

وهذان الامامان في المتقدمين كالمرحوم (احمد فارس الشدياق) في المتأخرين المعاصرين: فقد ألف احمد فارس كتاباً ممتعاً في تكوّن (الأسر اللغوية) سماه (سر الليال في القلب والإبدال) حذا فيه حذو (احمد بن فارس) في مقاييسه حذو القذة بالقذة . فكانا فارسي هذا الميدان اسماً ولقباً . كما كانا فارسيه تجويداً في الموضوع وتهذيبا .

والكتابان (الخصائص) و (سر الليال) طُبعا . وتداولتهما ايدي الفضلاء . أما ثالثهما (مقاييس اللغة) فلم نر له نسخاً مخطوطة دع عنك المطبوعة . وان كان المرحوم (جورجي زيدان) قال لنا في كتابه تاريخ الآداب العربية (انه اليوم يطبع في مصر) لكننا لم نر أثراً لهذه الطبعة فلعلهم هموا ولم يفعلوا .

ومؤلف (المقاييس) احمد بن زكريا بن فارس الرازي من أئمة اللغة وكبار مؤلفيها . وكان الصاحب بن عباد يكرمه ويتلمذ له ويقول : « شيخنا ابو الحسين ممن رُزق حسن التصنيف . وقد أمن فيه من التصحيف » .

وترجم له ياقوت في معجمه (جزء ٢ ص ٦) وعدد له من المصنفات نحو خمسة وعشرين كتاباً أشهرها (المجمل) الذي قال في اوله « قد ذكرنا الواضح من كلام العرب والصحيح من دون الوحشي المستنكر » وقال في آخره مبيناً السبب في تسميته بالمجمل (قد توخيت فيه الاختصار . واقتصرت على ماصح عندي سماعاً . ومن كتاب صحيح النسب مشهور »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يعني انه لم يودع كتابه من كلمات اللغة الا كلمة سمعها من لغوي ثقة . او اقتبسها من كتاب ثقة .

اما كتابه (مقاييس اللغة) فقد كدنا نشك في ان يكون له لان بعض من كتب سيرته لم يذكر نسبة هذا الكتاب اليه : فابن خلكان مثلاً لم يذكره في جملة مصنفاته . والمرحوم (زيدان) لم يذكره ايضاً في جملتها وانما ذكره في محتويات مكتبة (آل كاشف الغطا) في النجف ولم ينسبه الى مؤلف ما وبعد سطر قال « ان من محتويات تلك المكتبة كتاب المجمل لابن فارس » فهذا يدل على انه كان يجهل مؤلف كتاب المقاييس .

وبينا كنا في حيرة من امر هذا الكتاب اذا نسخة منه مصورة بالفوتوغراف تعرض على مجمعنا العلمي فتجددت لنا الرغبة في زيادة الاستيثاق من امر نسبة هذا الكتاب الى (ابن فارس) فلم نلبث ان ظفرنا بنسبته الصريحة اليه في كتاب (معجم الادباء) لياقوت فقد عدّه في جملة مؤلفاته وقال « انه كتاب جليل لم يصنف مثله » . وزادنا ايماناً بهذه النسبة ما ذكره السيوطي في كتابه (المزهر) « جزء ١ ص ٢٨٦ طبعة الرافعي سنة ١٣٢٥ هـ) من تكلم على النحت ونقل فصلاً من كتاب (فقه اللغة) لابن فارس قد ختمه بقوله « وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة » فلم تبق شبهة في امر نسبة الكتاب اليه .

اما مخطوطات (المقاييس) فقد علمنا من الاستاذ (زيدان) ان منه نسخة في مكتبة (آل كاشف الغطاء) وعلمنا من احد الفضلاء ان في ايران ثلاث مخطوطات منه : واحدة في مكتبة الشاه . وأخرى في مكتبة نصير الدولة احد وزراء ايران السابقين . والثالثة في طهران في مكتبة مدرسة المروي . والمروي هذا هو احد وزراء (فتح علي شاه) وهي التي اخذت عنها الصورة الفوتوغرافية وعرضت على مجمعنا فلم نتردد في شرائها وتزيين المكتبة بها .

وقد نقبنا عن نسخة خامسة لهذه النسخ الاربع فلم نجد : نقبنا في فهارس مكاتب اوربا ومصر والاستانة فلم نجد شيئاً . حتى ان فهرست مكتبة برلين لم يذكر مقاييس اللغة مع انه ذكر طائفة من مصنفات احمد بن فارس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والنسخة المصورة عن نسخة مكتبة المروي تبلغ (٧٧٩) صفحة . وهي بقطع دون المتوسط وخطها من النسخي الحسن الصغير الحروف وفي الصفحة الواحدة (٢٧) سطراً . وقد ختمها ناسخها بقوله : « قد وقعت الفراغة من كتابة كتاب المقاييس اللغة (كذا) » وتحته ختم جميل الشكل فيه ثلاثة أسطر مكتوبة بخط فارسي انيق هكذا « وقف . محمد حسين علي . مدرسة الفخر الطهران (كذا) » ولم يذكر كاتب النسخة اسمه في آخرها ولا اسم البلد التي كتبت فيها ولا تاريخ كتابتها . ويظهر من نسق الخط وأشكال حروفه ان النسخة كتبت بعد الألف للهجرة . وكنا تصفح فصولاً منها فنجد أحياناً تحريفاً وتصحيفاً لكنه قليل . يظهر ذلك من النموذجات التي عزمنا على اقتباسها من الكتاب ونشرها تباعاً في مجلة المجمع .

ونبدأ بخطبة المؤلف وقد سلك فيها مسلك الايجاز كما هي عادة المؤلفين الأقدمين فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله . وبه نستعين . وصلى الله على محمد وآله أجمعين . قال احمد أقول وبالله التوفيق . ان للغة العرب مقاييس صحيحة . واصولاً تتفرع منها فروع . وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس . ولا أصل من تلك الأصول . والذي أومأنا اليه باب من العلم جليل . وله خطر عظيم . وقد صدرنا كل فصل باصله الذي يتفرع منه مسائله حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل . ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط باوجز لفظ وأقربه . وبناء الامر في سائر ماذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحوي اكثر اللغة : فأعلاها وأشرفها الخ . ثم ذكر المؤلف الكتب التي اعتمد عليها وهي خمسة : (١) كتاب العين للخليل بن احمد . (٢) كتاب غريب الحديث لابي عبيد (٣) كتاب مصنف الغريب له ايضاً . (٤) كتاب المنطق لابن السكيت . (٥) كتاب الجمهرة لابن دريد . ثم قال : فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع اليها ، حتى اذا وقع الشيء النادر نصصنا على قائله» . ثم شرع في مباحث كتابه فافتتحه بباب الهمزة وما بعدها ، وقد رأينا ان نقارن بين ماقاله احمد بن فارس في الهمزة والباء ، وماقاله احمد فارس فيهما في كتابه (سر الليال) ليتبين للقارئ وحدة موضوع كتابيهما وتشابه طريقتهما في بحثهما . وهذان هما :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مقاييس اللغة

— لاحمد بن فارس —

باب الهمزة

« في الذي يقال له المضاعف »

إعلم ان للهمزة والباء في المضاعف أصلين احدهما (المرعى) والآخر (القصد) والتهيؤ ، فأما الاول فقول الله عز وجل : (وفاكهة وابّا) قال ابو زيد الانصاري : لم أسمع للاب ذكراً الا في القرآن . قال الخليل وابن[1] زيد الأب المرعي بوزن فعل وانشد ابن دريد شعر :

(جذمنا قيس ونجد دارنا
ولنا الأب به والمكرع)

وأنشد شُبيل بن عزرة لابي داود شعر:

(يرعى بروض الحزن من أبّه
قربانه في عانة تصحب)

اي تحفظ ، يقال صحبك الله اي حفظك

قال ابو اسحق الزجاج (الأب) جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية كذى (كذا) روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) . فهذا اصل . واما الثاني: فقال الخليل وابن دريد الاب مصدر أبّ فلان الى سيفه اذا رد يده اليه

(١) كذا في الاصل ولعل صوابه ابن دريد او ابو زيد .

سرّ الليال

— لاحمد فارس —

أب

ذكر المصنف أولاً عبارة صاحب القاموس في معاني مادة (أب) المختلفة ثم أتبعها بقوله :

« قلت : كان يجب عليه ان يجمع معاني الفعل كلها في موضع واحد . وعندي ان اول هذه المعاني أبّ الشيء حركه وهو حكاية صوت ونحوه هب وهف لحركة الريح وخبّ لعدو الفرس وحف لصوت ركضه وقب لصوت ناب الفحل وعب لصوت جرع الماء . وأب للسير أي تهيأ من معنى الحركة ونحوه عبأ المتاع والأمر هيأه . وجاء ايضاً أهب للامر وتأهب اي استعد . ومن هذا المعنى قيل : أب هزم بحملة والى وطنه اشتاق وجاء الوب التهيؤ للحملة في الحرب كالوبوبة ونحو أبّ أبّه أمّ أمّه وحم حمه وأمّ متّه ويممه . و(الأب) للكلأ من معنى القصد . ولك ان تقول انه من معنى الحركة المقرونة بالاشتياق اذ هو عند العرب من اعظم ما يتشوق اليه ولهذا قال تعالى (ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً) الى قوله تعالى (وفاكهة وأبا) وقال ايضاً (وانزلنا من المعصرات ماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليستله ، الأب في قول ابن دريد النزاع الى الوطن والأب في روايتهما التهيؤ للسير وقال الخليل وحده : أبّ هذا الشيء اذا تهيأ واستقامت طريقته ابابةً وانشد للاعشى:

(صرمت ولم اصرمكموا وكصارم
أخ قد طوى كشحًا وأب ليذهبا)

وقال هشام بن عتبة في الابابة شعر :

(وأب ذو المحضر الباري أبابته
وفوضت نيّة أطناب تخييم)

وذكر ناس ان الظباء لا ترد ولا يعرف لها ورد . قالوا : ولذلك قالت العرب في الظباء : ان وجدت فلا عباب وان عدمت فلا أباب : معناه ان وجدت ما (ماء) لم تعبّ فيه وان لم تجده لم تأب لطلبه والله أعلم بصحة ذلك . والأب القصد يقال : أبيتُ أبّه وامت أمّه وحممت حمّه وحردت حرده وصمدت صمده قال الراجز يصف ذئبًا شعر :

(مرّ مدلّ كرشاء الغرب
فأبيّ أبّ غنمي وأبي)

اي قصد قصدها وقصدي اه .

ثجاجًا فأنبتنا فيها حبًا ونباتا) وجاء العمّ بمعنى العشب . وجعل ابن فارس الابّ من معنى التهيأة قال لانه يعد زاداً للشتاء والسفر كما في المصباح . ومن معنى القصد والاشتياق ايضًا جاء الأباب بمعنى الماء وهو بالفارسية احد شطري اللفظ العربي اعني آب . فاما اطلاقه على السراب فمن تسمية المكروه بما يستحب كقولهم نام اي مات وله نظائر كثيرة ويظهر مما سيذكره المصنف في (عبّ) ان الأباب ايضًا مصدر أبّ اي تهيأ ونحو الأباب بالضم لمعظم السيل والموج العباب لمعظم السيل . وماء عباب اي كثير . وابّت ابابته بالفتح والكسر من معنى القصد والتهيأة اذ كان للقصد معنيان اعني الأم والاستقامة وهذا من اسرار العربية فتأمله . ومن معنى التهيأة ابّ يده الى سيفه وهو في ابابه وابب بمعنى صاح حكاية صوت ومثله هبّ بالتيس دعاه الخ .

* * *

هذا وفي الجزء التالي من المجلة ننقل للقارئ من المقاييس نموذجات أخرى توضح غايته وتبين طريقته .

« المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net